قراءة تحليلية في أولويات الإتحاد الأوروبي الاستراتيجية تجاه العراق

***أ.م امجد زين العابدين طعمة**

باحث من العراق

* مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
amjadztatmsc@uomustan-siriyah.edu.iq

ملخص :

يعد الإتحاد الأوروبي واحداً من أهم الأطراف الفاعلة والمؤثرة على الصعيد العالمي، وفقاً للمزايا العديدة ومؤشرات القوة الواضحة التي يمتلكها، فانه ينبغي عليه تحمل المزيد من المسؤوليات، ووضع استراتيجيات تضمن مصالحه، وتوفر له ضمانات تحقيق أهدافه، فضلاً عن تقليل معدل المخاطر المحتملة لتدهور الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية، لمناطق اهتمام الاتحاد.

وعلى الرغم من أنّ الإتحاد الأوربي عامةً والدولتين الأكثر تأثيراً داخله (فرنسا وألمانيا) بخاصة، حاولوا وفي أكثر من مناسبة ممارسة بعض الأدوار المؤثرة، إلا انّها لم تكن كذلك فيما يتعلق بالتعامل مع المسائل التي تخص العراق، ورؤيتها الاستراتيجية مع التغيرات الجذرية التي حدثت لهذا البلد المهم في منطقة الشرق الأوسط. إلا انّ التغيرات الدراماتيكية التي شهدتها المنطقة، على أثر ما يعرف بثورات الربيع العربي عام 2011 وصولاً الى تمكن تنظيم (داعش) من السيطرة على أراضي واسعة من العراق وسوريا، وموجات الهجرة والنزوح الكبيرة التي شهدتها أوروبا تبعاً لذلك، وموجة التفجيرات التي شهدها أكثر من بلد أوروبي، فرضت تغيرات وتطورات في ملامح الرؤية الاستراتيجية الأوروبية واولوياتها للمنطقة الشرق أوسطية عام وللعراق بخاصة.

تسعى الدراسة الى تسليط الضوء على الاستراتيجية الأوروبية تجاه العراق بصورة عامة، وإعادة تحديد الأولويات الأوروبية الاستراتيجية تجاه هذا البلد، من خلال استعراض وتحليل المعطيات والمؤشرات المتعلقة بمتغيرات الدراسة، وفقاً لفرضية: «ان تصاعد التحديات المختلفة المسارات (الأمنية، الاقتصادية، والسياسية)، فضلاً عن وجود مصالح أوروبية واضحة ومهمة في العراق ومنطقة الشرق الأوسط، فرض على الدول الاوروبية إعادة ترتيب أولوياتها فيه».

كلمات مفتاحية : الإتحاد الأوروبي، العراق، الأولويات الاستراتيجية، التحديات، المصالح.

An Analytical Reading of the European Union's Strategic Priorities Sowards Iraq

Asst. Prof.Amjad Z. Taama

Mustansiriyah Center for Arab and International Studies

ABSTRACT

The European Union is one of the most important and influential actors globally. By the many advantages and clear indicators of strength that many of its states possess, he should assume more responsibilities and develop strategies that guarantee his interests, on the one hand, provide him with guarantees of achieving his goals.

As well as reducing the rate of potential risks of deterioration of the political, security and economic conditions of the Union's areas of interest.

Although the European Union in general, and the two most influential countries (France and Germany) in particular, tried to exercise some effective roles, they were not like that regarding dealing with Iraq issues. And its strategic vision with the radical changes in this important country in the Middle East.

However, the dramatic changes that the region witnessed, following the Arab Spring revolutions in 2011, leading to the control of ISIS over extensive lands in Iraq and Syria, the large waves of migration that Europe witnessed accordingly, the wave of bombings witnessed by more than one European country, imposed changes developed the features of the European strategic vision and its priorities for the Middle East region and Iraq in particular.

The study seeks to shed light on the European strategy towards Iraq in general and redefine the European strategic priorities towards this country by reviewing and analyzing the data and indicators related to the study variables.

According to the hypothesis: "The escalation of various challenges (security, economic, and political), as well as the presence of clear and important European interests in Iraq and the Middle East, forced European countries to rearrange their priorities in it."

KEY WORDS: European Union, Iraq, strategic priorities, challenges, interests

المقدمة:

يمتلك الإتحاد الأوروبي العديد من المزايا، التي تؤهله لأداء أدوار أكثر فاعلية وتأثير في العديد من القضايا والمسائل المهمة على الصعيد الدولي، ولكن اغلب المراقبين لمسيرة وأداء الإتحاد خلال المرحلة الماضية، أشروا وجود قصور واضح في أدائه وتعامله مع العديد من هذه القضايا الدولية، مع وجود ضعف نسبي في مسارات التعامل الاستراتيجي، لغياب رؤية استراتيجية واضحة للتعامل المستقبلي معها، مع عدم تبني نهج شامل، لمجابهة التحديات المشتركة الجديدة والمتنامية التي تواجهه بشكل خاص.

وعلى الرغم من أنَّ الإتحاد الأوربي عامة والدولتين الأكثر تأثيراً داخله (فرنسا وألمانيا) بخاصة، حاولوا وفي اكثر من مناسبة ممارسة بعض الأدوار المؤثرة والفاعلة، إلا أنَّها لم تكن كذلك فيما يتعلق بالتعامل مع المسائل التي تخص العراق، ورؤيتها الاستراتيجية مع التغيرات الجذرية التي حدثت لهذا البلد المهم والمحوري في منطقة الشرق الأوسط، الأمر الذي أشر ضعفاً واضحاً في استراتيجية الإتحاد الأوروبي تجاه العراق وإدراك أهميته الواضحة في السياسة الإقليمية، زيادةً على انعكاسات وضعه الداخلي على الصعيدين الإقليمي والدولي، وتأثيراته المباشرة او غير المباشرة على الوضع الأوروبي في المجالات كافة.

تهدف الدراسة الى تسليط الضوء على الاستراتيجية الأوروبية تجاه العراق بصورة عامة، وإعادة تحديد الأولويات الأوروبية الاستراتيجية تجاه هذا البلد، من خلال استعراض وتحليل المعطيات والمؤشرات المتعلقة بمتغيرات الدراسة، وفقاً لفرضية: «ان تصاعد التحديات المختلفة المسارات (الأمنية، الاقتصادية، والسياسية)، فضلاً عن وجود مصالح أوروبية واضحة ومهمة في العراق ومنطقة الشرق الأوسط، فرض على الدول الاوروبية إعادة ترتيب أولوياتها فيه».

فيما ترتكز إشكالية الدراسة على سؤال مركزي يتعلق بتفسير أولويات الإتحاد الأوروبي الاستراتيجية تجاه العراق، وهل هناك تبدل في هذه الأولويات، وفق المتغيرات المتسارعة التي شهدها العراق ومنطقة الشرق الأوسط خلال المرحلة السابقة، والتي يمكن أنْ يكون لها انعكاسات واضحة عليها في المستقبل. واستخدمت في هذه الدراسة منهجية مركبة قوامها المقترب الوصفي التحليلي، فضلاً عن توظيف المنهج الاستشرافي، الى جانب المدخل التاريخي في سياق الحاجة لتفسير المدخلات التفسيرية للموضوع.

ولغرض احاطة الموضوع بكل جوانبه فقد تم تقسيم الدراسة على ثلاثة محاور: الأول يناقش السياق التاريخي لموضوع الدراسة، فيما يستعرض المحور الثاني

بشكل تحليلي العراق في الاستراتيجية الأوروبية، بينما يتناول المحور الثالث مستقبل الأولويات الاستراتيجية الاوروبية تجاه العراق.

اولاً: السياق التاريخي:

كشفت التحديات والتهديدات المختلفة التي تعرضت لها الدول الأوروبية، منذ تأسيس الإتحاد الأوروبي بعد توقيع معاهدة ماستريخت عام 1992 [1] الى الوقت الحاضر، فضلاً عن ألازمات التي مرت بها المناطق والأقاليم المجاورة او القريبة منها، سيما تلك المتعلقة بالمسائل الأمنية وانتشار بعض الظواهر الخطيرة المرتبطة بها كالإرهاب والتطرف، كشفت بشكل لا يقبل اللبس، جملةً من نقاط الضعف التي تعاني منها السياسة الخارجية والأمنية للاتحاد الأوروبي واستراتيجيتها المرتبطة بهذين الشأنين المهمين.

ووفقاً لاستطلاعات الرأي التي أجرتها العديد من المؤسسات البحثية الأوروبية الرصينة، فان نسبة كبيرة من المواطنين الأوروبيين، لطالما أيدوا القيام بالمزيد من الإجراءات العملية، فيما يتعلق بملفات السياسة الخارجية والأمن، ولا يرغبون، في الوقت نفسه، بأداء أدوار ثانوية في القضايا المهمة والمصيرية، وهو ما ذهبت اليه كذلك، اراء وكتابات العديد من المختصين والمهتمين بالشؤون السياسية، لا سيما الأوروبيون منهم.

وعلى الرغم من أداء الإتحاد الأوروبي دوراً متصاعداً ومؤثراً على الصعيد الدولي وتوظيفه في أحيان كثيرة، لمقومات قوته لترسيخ البعض من نفوذه والدفاع عن مصالحه في مواقع عدة، في مقدمتها المسائل المتعلقة بالتجارة الدولية والاحتباس الحراري والمحكمة الجنائية الدولية[2]، الا انه لم يتمكن من تحقيق ومواصلة نفس نسبة النجاح في مواقع ومسائل مهمة أخرى، مثل اداءه الضعيف تجاه بعض القرارات المتفردة التي كانت تتخذها حكومة الولايات المتحدة الامريكية تجاه بعض القضايا والدول، ومنها ما يتعلق بالتعامل مع برنامج أسلحة الدمار الشامل العراقي، وردود الأفعال الامريكية ضمن هذا الاطار، والتي كانت تعتبر عدم تعاون الحكومة العراقية بشكل كامل في بعض المسائل الفرعية او عدم تطبيقها لقرارات مجلس الامن الدولي، مبرراً كافياً للقيام بإجراءات عسكرية منفردة دون استشارة حلفائها الأوروبيين [3].

كما أظهرت الأحداث التي أعقبت التفجيرات الإرهابية التي استهدفت الولايات المتحدة الامريكية في 11 أيلول/ سبتمبر 2001، وإعطاء الأولوية لمسألة الحرب ضد الإرهاب، أظهرت الهيمنة الامريكية المطلقة والدور الواضح والاساسي للقوة العسكرية والسياسية الامريكية في العالم برمته ومنطقة الشرق الأوسط من ضمنها،

(1) وهي اتفاقية إقامة وحدة أوروبية شاملة وتحويل المجموعة الأوروبية الى اتحاد اوروبي، تم توقيعها من قبل 12 دولة أوروبية، ودخلت حيز التنفيذ في 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1993، للمزيد حول الاتفاقية ينظر النص الأصلي: https://eur-lex.europa.eu/legal-content/EN/TXT/PDF/?uri=CELEX:11992M/TXT&from=EN

(2)Fraser Cameron, An EU Strategic Concept, European Policy Centre, 2003, https://www.epc.eu/en/Publications/An-EU-Strategic-Concept~22996c

(3)Ibid.

في مقابل انصياع أوروبي كامل لهذا الدور، مما اثار بعض السخط والتذمر من قبل صناع القرار والرأي في بعض الدول الأوروبية المؤثرة، وفي مقدمتها فرنسا والمانيا من سياسة التفرد الامريكية وتجاهلها لرأي شركائها الأوروبيين في القضايا الكبيرة، سيما ما يتعلق منها بقرارات شن الحرب على العراق او ما يتعلق بالموقف من البرنامج النووي الإيراني وغيرها.

وفيما يتعلق بـالأدوار الأوروبية الأخرى تجاه بعض أهم القضايا في منطقة الشرق الأوسط، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، فقد كان اداؤه يأخذ عليه طابع (المكمل) للدور الأمريكي والذي لا يمكن أن يتعارض معه بكل حال من الأحوال، وكان التركيز واضحاً على الجوانب الاقتصادية، الاكثر فاعلية وتأثير من الجوانب الأخرى، اذ احتل الإتحاد الأوروبي مكانة رائدة ومنظماً أساس لمجموعة العمل متعددة الأطراف المعنية بالتنمية الاقتصادية، بهدف تقديم الدعم المالي والاقتصادي لعملية السلام وتشجيع التعاون الاقتصادي الإقليمي، وقدمت في هذا الاطار دعماً مشروطاً للسلطة الفلسطينية، بعدّها اكبر الجهات المانحة لها، وفق مبدأ مراقبة المسؤولية في سلوكها السياسي وزيادة وزنها على حساب الفواعل الأخرى، في حين احتفظ الإتحاد لنفسه بوضع (مراقب عملية السلام)، وتقديم المساعدة في حالات الضرورة لتحقيق تقدم في الاتفاقات المبرمة بين الأطراف المتنازعة، وهو ما يثبت وجود تأخر واضح للدور الأوروبي عن أدوار باقي الجهات الأخرى، الأكثر تأثيراً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية[4].

ما يثبت وجود تأخر واضح للدور الأوروبي عن أدوار باقي الجهات الأخرى، الأكثر تأثيراً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية

تركزت أولويات التوجهات الأوروبية تجاه الشرق الأوسط عامة والعراق بخاصة قبل عام 2003، على الاهتمام بإيجاد حلول للقضايا والمسائل المهمة والحفاظ على مصالحها الوطنية وتحقيق أهدافها الاستراتيجية من دون اللجوء الى البعد العسكري، مع التركيز على ابعاد أخرى متزايدة الأهمية، في المقدمة منها الابعاد (الأمنية ومكافحة الارهـاب، الاقتصادية، التجارية والاستثمارية، والثقافية)، مع ضمان تأمين امدادات الطاقة من دول المنطقة الأكثر انتاجاً لها، مع إعطاء بعض الاهتمام لبعض القضايا الأخرى المتعلقة بترسيخ مبادئ الديمقراطية ودعم حقوق الانسان والحكم الرشيد.

بدأت ملامح تبلور رؤية أوروبية جديدة وواضحة للتهديدات المتسارعة التي استجدت وبرزت على أثر أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2011

في الوقت عينه، بدأت ملامح تبلور رؤية أوروبية جديدة وواضحة للتهديدات المتسارعة التي استجدت وبرزت على أثر أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2011 تظهر للعيان، ووفقاً لهذه الرؤية، فإنّ المؤسسات الأوروبية حددت أهم التهديدات التي تواجه أوروبا ومنها: (الهجمات الإرهابية، انتشار

(4) Alain Dieckhoff, Vitaly Nakumon, Anthony H. Cordesman, The Role of Europe in the Middle East, ESF Working Paper No. 7, 1 June 2002, p. 7. https://www.files.ethz.ch/isn/22264/Role_Europe.pdf

أسلحة الدمار الشامل، النزاعات الإقليمية، الجريمة المنظمة، الهجرة غير الشرعية)، وعلى هذا الأساس فقد اتجه الإتحاد الاوروبي لإيلاء اهتمام اكثر بهذه المسائل والتحديات المهمة والمتصاعدة المخاطر، واستحداث وتشكيل أجهزة ومؤسسات متخصصة تأخذ على عاتقها إدارة ومجابهة بعض الاخطار الأمنية بشكل اكثر فاعلية ووضوح[5].

(5) بشارة خضر، اوروبا من اجل المتوسط من مؤتمر برشلونة الى قمة باريس (1995-2008)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010، ص99.

فيما تباينت مواقف الدول الأوروبية بشكل واضح تجاه السياسات والإجراءات الامريكية ازاء العراق وصولاً الى تاريخ بدء حرب احتلال العراق في اذار/ مارس 2003، ولم يخرج الإتحاد الأوروبي بموقف واحد من قرار بدء العمليات العسكرية التي اتخذتها الإدارة الامريكية، وتباينت مواقف دوله بين (المشارك، المؤيد، والرافض)، وذلك بناءً على أحقية كل دولة من دول الإتحاد في اتخاذ قرارات سياسية قد تختلف مع غيرها من الأعضاء، وكانت رؤية أهم دولتين اوروبيتين (فرنسا وألمانيا) واضحة في معارضة قرار الحرب، وذلك لأنَّ الرؤية الأوروبية تستند على ترجيح كفة الوسائل الدبلوماسية والسلمية بدلاً من العسكرية، فضلاً عن ان مصلحتها تقتضي عدم وجود نزاعات او حروب في بؤر التوتر، لا سيما منطقة الشرق الأوسط، المرتبطة بمصالح مختلفة المسارات معها، زيادةً على ان الدول الأوروبية تفضل اتخاذ القرارات الجماعية عبر المؤسسات الدولية الرسمية، وفي مقدمتها مجلس الأمن الدولي، بينما ترى الولايات المتحدة الامريكية بأنَّ إدارة الصراع الدولي والقرارات ذات الشأن به تتحكم بها عوامل القوة العسكرية التي تتمتع بمركز الصدارة فيها[6].

تباينت مواقف الدول الأوروبية بشكل واضح تجاه السياسات والإجراءات الامريكية ازاء العراق

(6) ستار جبار الجابري، موقف دول الاتحاد الأوروبي تجاه الاستراتيجية الامريكية في العراق، مجلة دراسات دولية، كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد، العدد 36، ص41.

وبان الانقسام واضحاً بين الدول الأوروبية بشأن قرار الحرب، فالتيار الذي قادته بريطانيا الحليف الاستراتيجي الاوثق للولايات المتحدة الامريكية والذي ضم هولندا والدنمارك، وانضمت اليه لاحقاً كل من (اسبانيا، إيطاليا، والبرتغال)، كان مؤيداً وبشدة للتوجهات الامريكية والمشاركة بقوات عسكرية في الحرب، على عكس التيار الثاني الذي قادته فرنسا وألمانيا وبلجيكا وبدرجة أقل (السويد، النرويج، واليونان)، والذي كان يدعو الى إيجاد حل يستند على الوسائل السلمية والدبلوماسية، وعدم مشروعية اللجوء الى الحل العسكري، الا بعد استنفاذ الوسائل كافة، مع اشتراط الحصول على ترخيص واضح من الأمم المتحدة[7].

(7) المصدر نفسه، ص42.

افرز هذا التباين والانقسام الأوروبي الواضح تجاه العديد من القضايا والمسائل العالمية المهمة، ومنها ما يتعلق بالسياسات الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط عامةً والعراق بخاصة، افرز تطوراً في بنية التجربة السياسية الأوروبية، وبروز ملامح

أولية لسياسة أوروبية جديدة، بقيادة المحور الفرنسي - الألماني، الذي حاول النأي بنفسه، قدر الإمكان، عن بعض السياسات الامريكية المنفردة والاقصائية، وإعطاء دور اكبر للاتحاد الأوربي كمؤسسة فاعلة تجاه القضايا والمسائل المهمة في العالم من جهة، ومنح الفاعلية والدور للمنظمات الدولية الأخرى (كمجلس الامن والأمم المتحدة) من جهة أخرى.

افرز تطوراً في بنية التجربة السياسية الأوروبية، وبروز ملامح أولية لسياسة أوروبية جديدة

هذا التطور وغيره، أسهم، بشكل او بآخر، في منح الإتحاد الأوروبي وأهم دولتين محوريتين فيه (فرنسا وألمانيا)، الفرصة في التفكير، بشكل جدي، في البدء بإجراءات الخروج من دائرة التبعية المطلقة للولايات المتحدة الامريكية، ومحاولة انتهاج سياسة أوروبية مستقلة إزاء مختلف الأزمات الدولية، تعتمد بعض الأولويات الاستراتيجية الواضحة وتراعي بدرجة أساس أولوياتها القومية ومصالحها العليا وفي مساراتها كافة، وتحاول كذلك ترسيخ مبادئ السلام واللجوء الى الحوار في حل المشاكل والنزاعات، لأنَّ عدم الاستقرار وانتشار مظاهر الإرهاب والتطرف، يمكن أنْ تنعكس بشكل سلبي على استقرار دولها.

وعلى هذا الأساس، فإنَّ مراجعة تحليلية لأولويات الاستراتيجية الأوروبية تجاه العراق لغاية دخول القوات الامريكية في نيسان/ ابريل 2003، تبين بان المحور الأوروبي الذي قادته كل من فرنسا وألمانيا، حاول، بشكل او بآخر، أعاد ترتيب أوراقه واولوياته فيما يتعلق بتوجهاته نحو أهم القضايا المحورية في منطقة الشرق الأوسط عامةً والعراق بخاصة، وبرزت هذه الترتيبات في مواقفها المعارضة لشن الحرب على العراق في آذار/ مارس 2033، فضلاً عن تبنيها لرؤية مغايرة للمشروع الامريكي الذي يقضي بإعادة صياغة المنظومة الإقليمية الشرق أوسطية بصورة عامة.

ثانياً: العراق في الاستراتيجية الأوروبية:

حسب المؤشرات والمعطيات التي تم طرحها في المحور الأول من الدراسة، عادةً، ما حددت الدول الأوروبية أولويات مختلفة، إنْ لم تكن متباينة، في الشرق الأوسط عامةً والعراق بخاصة. فإلى جانب الأسباب الأساسية، المتعلقة بعدم وجود تكافئ للقدرات العسكرية والافتقار الى الإرادة السياسية للانخراط في عمليات محفوفة بمستوى عالي من المخاطر، سيما خارج التفويض الأممي والشرعية الدولية، زيادةً على أسباب خارجية وداخلية أخرى، الأمر الذي وقف حائلاً أمام تدخل أكثر فاعلية وتأثير لدول الإتحاد الأوربي في الشرق الاوسط[8].

وعلى مدى السنوات القليلة الماضية، ومع تصاعد التحديات والأزمـات

(8)Pierre Morcos, Enough Theory, European Strategic Autonomy Needs Practice in the Middle East, The Washington Institute for Near East policy, Jan 6, 2021, https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/enough-theory-european-strategic-autonomy-needs-practice-middle-east

والصراعات في المنطقة الشرق أوسطية المحاذية لأوروبا، وانعكاساتها المتزايدة على الصعيد الدولي، ومع تأثيرات ما يعرف بثورات الربيع العربي، وهيمنة أحزاب الإسلام السياسي على مقاليد الحكم في أكثر من دولة، والنجاح المتزايد الذي حققته مختلف الجماعات الإرهابية المتطرفة، سواءً في جذب الأعضاء والداعمين لها او في السيطرة الفعلية على الأرض، كما حصل في سيطرة تنظيم داعش على أراضي واسعة من العراق وسوريا وغيرها من الدول عام 2014.

زيادةً على تصاعد حدة الازمات الأخرى في سوريا واليمن وليبيا وافغانستان، والخطر المتزايد للبرنامج النووي الإيراني، وتصاعد حدة الحوادث البحرية في الخليج، كل ذلك وغيره دفع بعض دول الإتحاد الأوروبي، وفي مقدمتها (فرنسا وألمانيا) الى إعادة التفكير بآليات وأساليب التدخل في المنطقة عامةً، وتجديد مساهماتها الجيوسياسية في المنطقة. وقد ارتبطت هذه المساعي، وحسب وجهة نظر الباحث المختص بالشؤون الأوروبية بيير موركوس، برغبة الدول الأوروبية لانتهاج سياسة خارجية أكثر استقلالاً، فضلاً عن التحرك باتجاه تولي مسؤولية مصالحها الأمنية بصورة أكثر فاعلية[9].

(9)Ibid.

اعتمد الإتحاد الأوروبي استراتيجية جديدة خاصة بالعراق في آذار/ مارس 2015، وذلك كجزء من استراتيجية الإتحاد الأوروبي الإقليمية لسوريا والعراق، على أثر تصاعد التهديدات الإرهابية وتمكن تنظيم (داعش) من السيطرة الفعلية على أراضي شاسعة من كلا البلدين، ولكنه وبعد تمكن القوات العراقية من دحر التنظيم في العديد من المناطق واستعادة اغلب المدن المحتلة من قبله، طلب مجلس الشؤون الخارجية للاتحاد الأوروبي بتاريخ 19 حزيران/ يونيو 2017 من الممثل العام للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية والمفوضية الأوروبية تقديم استراتيجية جديدة للتركيز على الطرق التي يمكن انْ يسهم بها الإتحاد في معالجة بعض القضايا والتحديات التي يواجهها العراق[10].

(10)Beatrix Immenkamp, EU strategy for Iraq, European Parliamentary Research, 2018, https://www.europarl.europa.eu/legislative-train/api/stages/report/current/theme/europe-as-a-stronger-global-actor/file/the-eu-strategy-for-iraq

اعتمد الإتحاد الأوروبي استراتيجية جديدة خاصة بالعراق في آذار/ مارس 2015

وفي إطار الجهود الدولية في الحرب ضد الإرهاب، أسهم الإتحاد الأوروبي بشكله المؤسسي أو بدوله المنفردة في الجهود العسكرية لمحاربة تنظيم (داعش)، من خلال المشاركة المباشرة في العمليات العسكرية للتحالف الدولي ضد تنظيم (داعش)، وفي مقدمة هذه الـدول فرنسا. او عبر العمل على توفير وتقديم الأسلحة والمعدات العسكرية والتدريبات والمشورة والمعلومات الاستخباراتية، كألمانيا، التي اقتصرت معظم مشاركتها في تقديم

أسهم الإتحاد الأوروبي بشكله المؤسسي أو بدوله المنفردة في الجهود العسكرية لمحاربة تنظيم (داعش)

المساعدات الإنسانية ودعم الاستقرار، فضلاً عن المساهمة في تجهيز وتدريب القوات العسكرية العراقية في حربها ضد الإرهاب[11].

وقدم الإتحاد الأوروبي للمدة من 2014-2019 أكثر من 435 مليون يورو للحكومة العراقية، استجابة للازمة التي خلفتها سيطرة تنظيم (داعش) على مدن عراقية كاملة، ومن ثم الحرب التي خاضتها القوات العراقية لتحرير مدنها المحتلة وإخراج التنظيم بشكل نهائي. وتم تخصيص جزء من هذا المبلغ لغرض الدعم السياسي وتحقيق التزام الإتحاد بمواصلة العمل مع الحكومة والشعب العراقي من أجل تحقيق الاستقرار، ودعم وحدته وسيادته، مع التأكيد على الحكومة العراقية بأهمية احراز تقدم ملموس في عملية الإصلاح السياسي والمصالحة الوطنية والمجتمعية، والجزء الآخر من المبلغ خصص لدعم الجهود الإنسانية، وفي مقدمتها مواجهة التحديات المتعلقة بالنزوح وتقليل معدلات الفقر، كما يولي الإتحاد اهتماماً خاصاً بمسائل حماية الأطفال والتعليم في حالات الطوارئ، فضلاً عن التعاون التنموي واستقرار المناطق المحررة، والحكم الرشيد وبناء القدرات وتعزيز فرص عمل مستدامة، والإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية الرئيسة في إدارة المالية العامة وقطاعات الطاقة[12].

كما قاد الإتحاد الجهود الدولية لإزالة الألغام، بالتنسيق مع الجهات الدولية المانحة ودائرة الأمم المتحدة للإجراءات المتعلقة بالألغام UNMAS، ويرأس وفد الإتحاد مجموعة العمل الفرعية التابعة للتحالف العالمي والمعنية بتخفيف مخاطر المتفجرات، بالتعاون مع الجهات الفاعلة ذات الصلة بهذا الموضوع الدولية منها والمحلية، زيادةً على مساهمة الإتحاد في دعم الامن من خلال بعثة الإتحاد الأوروبي للمساعدة الأمنية في العراق، واستجابة لطلب الحكومة العراقية للحصول على دعم أوروبي في مجالات اصلاح قطاع الأمن المدني، مساعدة السلطات في عملية تنفيذ استراتيجية الأمن القومي، ومكافحة الإرهاب، عبر دعم استراتيجية عراقية لمكافحة الإرهاب، متوافقة مع حقوق الانسان، وتحسين اليات تبادل المعلومات والتنسيق، ويعمل الإتحاد مع أجهزة انفاذ القانون والاستخبارات العراقية بما يتماشى مع تقييم الأمم المتحدة لاحتياجات العراق[13].

ولكنه واستجابةً للتحديات المتزايدة التي تواجهها منطقة الشرق الأوسط عامةً والعراق بخاصة، بدأت دوائر صنع القرار المعنية بالعراق في الإتحاد الأوروبي بالتشاور والتباحث مع المعنيين بالشأن العراقي داخل أروقة الإتحاد أو مع شركائها في الحكومة الإتحادية او في إقليم كردستان العراق، للمباشرة بإجراء تقييم حقيقي وعلمي للاستراتيجية الاوروبية السابقة المعتمدة حيال العراق، وإمكانية وضع

(11) امجد زين العابدين، نوار جليل هاشم، مكافحة الظلام: رؤية في المواقف الأوروبية من مكافحة الإرهاب، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، 2019، ص124.

(12)The EU and Iraq, European external action service, Bruxelles, 9/7/2019, https://eeas.europa.eu/sites/default/files/eu_and_iraq_factsheet_updated_.pdf

(13)Ibid.

استراتيجية محدثة او جديدة، لتحل محل سابقتها، تأخذ بنظر الاعتبار تجاوز بعض نقاط الضعف التي تم تشخيصها في السابقة، التي كانت تركز بشكل أساس، على هزيمة تنظيم (داعش) عسكرياً، والتركيز على الأسباب الجذرية التي أدت لنجاح التنظيم بالسيطرة على هذه الأراضي، والمظالم والإجراءات غير منصفة التي أدت الى ظهور التنظيم وقبول المجتمعات المحلية له[14].

(14)The European Union and Iraq: A New Strategy, Middle East Research Institute (MERI), November 15th, 2017, http://www.meri-k.org/the-european-union-and-iraq-a-new-strategy /

في حين، ركزت الاستراتيجية الجديدة حيال العراق لخمسة اعوام مقبلة كذلك، والتي أعلنها الإتحاد الأوروبي بتاريخ 8 كانون الثاني/ يناير 2018، واعتمدها مجلس الشؤون الخارجية في 22 كانون الثاني/ يناير 2018، على مسائل أساسية عدة تتضمن العديد من الاقتراحات والتكتيكات الجديدة من أجل التصدي ومجابهة التحديات الكبيرة التي يواجهها العراق، وفي المقدمة منها (مكافحة الإرهاب والتطرف، اعمار البنى التحتية، والنهوض بالاقتصاد وتحسينه)[15]، مع التأكيد بأنَّ التنفيذ السريع للاستراتيجية سيكون حاسماً في سبيل الحفاظ على زخمها ونجاحها نحو بناء مستقبل أفضل للعراق بعد التحرير من تنظيم (داعش)، ومن أهم هذه الأهداف[16]:

ركزت الاستراتيجية الجديدة حيال العراق لخمسة اعوام مقبلة كذلك

(15) علي زياد العلي، استراتيجية الاتحاد الأوروبي الجديدة حيال العراق، شبكة النبأ، 2019/2/3، https://:arabic/org.annabaa/18152/authorsarticles

1- الحفاظ على وحدة العراق وسيادته وسلامة أراضيه، وتنوعه الإثني والديني، ودعم الجهود العراقية وتقوية النظام السياسي العراقي لإقامة نظام حكم ديمقراطي متوازن وشامل وخاضع للمساءلة والمحاسبة الديمقراطية.

2- تعزيز النمو الاقتصادي المستدام والشامل والقائم على المعرفة وإيجاد الوظائف وتطوير وخلق قطاعات الأعمال.

(16)Iraq and the EU, Delegation of the European Union to Iraq, 10/5/2016, https://eeas.europa.eu/delegations/iraq/690/iraq-and-eu_en

الحفاظ على وحدة العراق وسيادته وسلامة أراضيه، وتنوعه الإثني والديني

3- تعزيز الهوية الوطنية للعراق والمصالحة بين طوائفه المتنوعة.

4- تعزيز نظام عدالة فعال ومستقل، وتشجيع انشاء نظام قضائي لضمان المحاسبة.

5- مواجهة تحديات الهجرة، وإقامة حوار مع الحكومة العراقية حول هذا الموضوع والمسائل المرتبطة به.

6- دعم علاقات العراق الجيدة مع جيرانه كافة.

وجاء إقرار هذه الاستراتيجية الجديدة ضمن إطار رؤية إقليمية جديدة وواسعة النطاق للاتحاد الأوروبي تجاه منطقة الشرق الأوسط عامةً، سيما بعد الانعكاسات السلبية والتداعيات الكبيرة، التي تركتها مرحلة سيطرة تنظيم (داعش) على أراضي واسعة من العراق وسوريا، فضلاً عن موجات النزوح والهجرة الكبيرة التي خلفتها، والتي وصلت آثارها السلبية الى داخل الأراضي الأوروبية. وجاء تبني

هذه الاستراتيجية، في محاولة صريحة من قبل الدول المؤثرة في الإتحاد لتكثيف حضورها وتواجدها في العراق والمنطقة على حد سواء، عبر التركيز على متطلبات تثبيت السلام وتعزيز وترسيخ العلاقات الاستراتيجية مع العراق من أجل توحيد الرؤى الاستراتيجية للجانبين، والالتزام بدعم استقراره في مرحلة ما بعد (داعش)، والتصدي الناجح للتحديات المختلفة الاتجاهات التي تواجه المنطقة والعراق[17].

(17) علي زياد العلي، مصدر سبق ذكره.

وهدفت الاستراتيجية بشكل عام الى إعادة بناء مؤسسات الدولة العراقية بمستوياتها كافة، وذلك لتشخيص المسببات الحقيقية للتفكك والاستقطاب في العراق، ومن ثم وضع الحلول والمعالجات المناسبة لها بمساعدة مؤسسات الإتحاد الأوروبـــي المعنية والشركاء الدوليين بمختلف انتماءاتهم، مع التركيز على جداول الاعمال المحلية وإيجاد المعالجات المناسبة لها وفقاً لخطط ثابتة، فالسكان المحليون، لديهم معرفة وفهم اعمق بديناميات حركة مجتمعاتهم المحلية واهتماماتهم المختلفة، وبالتالي فإنَّ تقديم المساعدة لهم في تشخيص التحديات، وتحديد أفضل الوصفات لمجابهة التحديات التي تواجهها هذه المجتمعات[18].

وهدفت الاستراتيجية بشكل عام الى إعادة بناء مؤسسات الدولة العراقية بمستوياتها كافة

ونظراً للشراكة الطويلة الأمد والتعاون بين الإتحاد الأوروبي والعراق في مجالات (الأمن، المساعدات الإنسانية، تحقيق الاستقرار، إعادة الاعمار، حقوق الانسان، الهجرة، اجندات الإصلاح السياسي والاجتماعي الاقتصادي)، اعتمد مجلس النواب العراقي في 4 حزيران/ يوليو 2018 قرارًا تشريعيًا بالموافقة على إبرام اتفاقية الشراكة والتعاون المنقحة بين الإتحاد الأوروبي وجمهورية العراق في وقت سابق، مع تقديم الدعم الكامل للاستراتيجية الأوروبية الخاصة بالعراق التي أقرها المجلس في 22 كانون الثاني / يناير2018، والتي تؤكد التزام الإتحاد الثابت والمستمر بدعم الشعب العراقي في مواجهة التحديات الرئيسة[19].

(18)The European Union and Iraq: A New Strategy,op. Cit.

تركز على دعم طويل لعمليات الإصلاح والتنمية المحلية

(19)Beatrix Immenkamp, EU strategy for Iraq, European Parliamentary Research, 2018, https://www.europarl.europa.eu/legislative-train/api/stages/report/current/theme/europe-as-a-stronger-global-actor/file/the-eu-strategy-for-iraq

هناك العديد من المزايا التفضيلية، التي يتمتع بها الإتحاد الأوروبي، والتي تمكنه من أداء دور أكثر فاعلية وتأثير في العراق، عبر تنفيذ المحاور الأساسية للاستراتيجية الأوروبية الجديدة حيال العراق، والتي تركز على دعم طويل لعمليات الإصلاح والتنمية المحلية. فمع دخول اتفاقية الشراكة والتعاون الآنفة الذكر الى جانب الاستراتيجية الأوروبية الشاملة بشأن العراق، حيز التنفيذ اعتباراً من عام 2018، بدأت خطوات عملية في دعم مؤسسات الدولة العراقية في قطاعات متعددة، اذ تمتلك أوروبا، سواءً على مستوى الإتحاد او على المستوى الفردي لمختلف الدول الأعضاء، مجموعة متنوعة من الآليات والأدوات الفعالة، التي تضمن تحقيق

الأهداف المشتركة وتعزيز التكامل مع الجهات المحلية داخل العراق، كما أنَّ هناك ميزة تفضيلية أخرى يمكن أنْ ترجح كفة الإتحاد الأوروبي على الجهات الدولية الأخرى وتزيد من فرص نجاح استراتيجيتها، تتعلق بعدم وجود حساسية عراقية من الدور الأوروبي، وذلك لحداثة تجربة التدخل الأوروبي المباشر، وعدم التركيز على الجوانب العسكرية، مما يوفر لها فرصة مواتية لتحقيق أهدافها الاستراتيجية بأقل قدر ممكن من الخسائر، مع ضمان استدامة تحقيق هذه الاهداف أطول فترة ممكنة[20].

واستناداً على ما سبق، فإنَّ الدول الأوروبية، شرعت ومنذ وقت مبكر، واستجابة للتحديات الكبيرة والمتصاعدة التي واجهت دولها، بإجراء تعديلات جذرية في استراتيجيتها للتعامل مع المنطقة الشرق أوسطية والعراق على وجه التحديد، تزامناً مع الأحداث الكبيرة التي شهدتها المنطقة، بدءاً من انطلاق الشرارة الأولى لما يعرف بثورات الربيع العربي وسيطرة أحزاب الإسلام السياسي على العديد من دول المنطقة، وصولاً الى تمكن تنظيم (داعش) من احتلال مناطق واسعة من العراق وسوريا، والآثار والانعكاسات السلبية التي تركها هذا الاحتلال، على الواقع السياسي والاقتصادي والأمني والاجتماعي للمنطقة برمتها.

بإجراء تعديلات جذرية في استراتيجيتها للتعامل مع المنطقة الشرق أوسطية والعراق

زيادةً على محاولة الدول الأوروبية وضع حد لتداعيات هذه الاحداث على دولها، واتخاذها لخطوات عملية لغرض ابعاد الاخطار والتحديات المحدقة التي باتت تواجه أراضيها، على أثر موجات الهجرة غير الشرعية التي اجتاحت حدود دولها والعمل على وقف تصاعد معدلات الهجمات الإرهابية العنيفة التي تعرضت لها أكثر من دولة اوروبية، مع توجيه أصابع الاتهام فيها الى مهاجرين عرب او مسلمين، او من المواطنين ذوي الأصول المهاجرة، كل ذلك وغيره أدى الى تحفيز الدول الأوروبية الى إعادة تشكيل وصياغة حزمة من الإجراءات المختلفة المسارات (السياسية، الأمنية، الاستخباراتية، والمجتمعية) للتعامل بشكل جدي وحازم مع الخطر الذي يشكله الإرهاب وانتشار الأفكار المتطرفة. وهنا برزت الحاجة الى إعادة صياغة بعض استراتيجيات الدول الأوروبية تجاه منطقة الشرق الأوسط والعراق، بناءً على المتغيرات والمؤشرات الانف ذكرها التي شهدتها خلال المرحلة الماضية.

برزت الحاجة الى إعادة صياغة بعض استراتيجيات الدول الأوروبية تجاه منطقة الشرق الأوسط والعراق

فالتحديات تضاعفت في ظل ظهور اشكال وصور جديدة ومبتكرة من الإرهاب المحلي، ذو الصبغة العابرة للأوطان والحدود، يمثل الجهاديين الأوروبيين ادواته

(20) كريستيان كوتش، أوروبا بحاجة لأخـذ زمـام المبادرة في العراق لماذا الاستقرار في العراق أمـر بالغ الأهمية لكل الشرق الأوسط؟، ترجمة حسين احمد السرحان، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة كربلاء، 20 يونيو 2021، https://:cutt. ly/3IeHgPY

الرئيسة، مما شكل تحولاً دراماتيكياً في رؤى وتحليلات المهتمين بشؤون الإرهاب ومكافحته، الامر الذي زاد من المخاطر التي تشكل تهديداً حقيقياً للأمن داخل أراضيها او لمصالحها القومية المنتشرة في مختلف دول العالم. كما أنَّ هناك خوف وقلق كبير يساور الإتحاد الأوروبي من أنْ تنتقل تأثيرات الإرهاب الى الداخل الاوربي، اذ إنَّ العدد الكبير من المقاتلين الأوربيين، سيما من اللاجئين المقيمين على أراضيها او من الذين قدموا حديثاً اليها مع موجات الهجرة الأخيرة، والذين انظموا أو سينظمون في المستقبل للتنظيمات المتطرفة، جعل الدول الأوربية تعيد ترتيب حساباتها لغرض مجابهة هذا الخطر، وهو ما كان واضحاً في حيثيات الاستراتيجيات الأوروبية الجديدة، التي وضعت هذه المسائل والتحديات نصب اعينها.

وعليه، فإنَّ الاستراتيجيات التي أقرتها الدول الأوروبية للتعامل مع العراق والمنطقة، وبناءً على المتغيرات الجديدة التي أشرنا اليها في هذا المحور، تضمنت فهماً جديداً للتعامل مع التحديات المشتركة المتعلقة بمكافحة الإرهاب وترسيخ الأمن، مع محاولة توظيف بعض مخرجات (الاستراتيجيات الأوروبية لمكافحة الإرهـاب) في تحقيق استراتيجياتها العامة من ناحية، وتحديات المجتمعات والحكومات التي تواجه الاثار والانعكاسات السلبية لسيطرة الجماعات المسلحة الإرهابية عليها، فضلاً عن محاولة ترسيخ أسس الاستقرار المجتمعي في دولها، للحيلولة دون ظهور موجات جديدة للهجرة غير الشرعية، يمكن أنْ تصل تأثيراتها السلبية الى أوروبا.

ثالثاً: رؤية مستقبلية لأولويات الاستراتيجية الأوروبية تجاه العراق:

«يعتمد امننا على استقرار جيراننا، والعراق اليوم، هو واحد من أهم جيراننا المباشرين»، نص ما قاله سفير الإتحاد الأوروبي في العراق رامون باليكو، خلال مشاركته في مناقشات المائدة المستديرة لمناقشة تحديات ما بعد استفتاء إقليم كردستان العراق، التي تواجه العراق والاقليم ودور الإتحاد الأوروبي المحتمل في معالجة هذه التحديات والاشكالات، والتي نظمها معهد أبحاث الشرق الأوسط (MERI)، في 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2017، وقدم السفير باليكو رؤية الإتحاد القائمة على دعم استقرار العراق والحوار بين مكوناته كافة، استناداً على ما جاء في الدستور العراقي الدائم لعام 2005، كما أعرب عن استعداد الإتحاد والمنظمات الشريكة على حل القضايا العالقة بين مختلف الأطراف السياسية الداخلية، لا سيما بين حكومتي المركز وإقليم كردستان، وبدء الإصلاحات الإدارية، فضلاً عن تعزيز القدرات المؤسسية العراقية لمواجهة مختلف التحديات والمشاكل[21].

من البديهي، بأنَّ هناك العديد من العوامل التي تحدد وتؤثر في صياغة وتشكيل استراتيجيات الدول والجماعات تجاه منطقة أو إقليم معين، وهذا ما ينطبق بالمجمل في صياغة الاستراتيجية الأوروبية تجاه الشرق الأوسط عامةً والعراق بخاصة، والتي تؤثر عليها عوامل عدة، منها ما يتعلق بالمصالح الاقتصادية، بما في ذلك تأمين الحصول على موارد ومصادر الطاقة والثروات الطبيعية بأنواعها، فبعض الدول الأوروبية وفي مقدمتها فرنسا، تعتقد انه ومن خلال توظيف البعد الاقتصادي، ستتمكن من حل بعض المشاكل التي يعاني منها اقتصادها منذ عام 2008، كما إنَّ ما يمكن أنْ يمثله هذا الدافع من أهمية الوصول الآمن الى مصادر الطاقة وزيادة الصادرات الى اسواق المنطقة، اذ إنها تحاول إيجاد منافذ جديدة لتسويق صادراتها، لاسيما في ظل تراجع نفوذها الاقتصادي في مناطق عدة، في مقدمتها المغرب العربي لصالح دول أخرى[22].

(21)The European Union and Iraq: A New Strategy,op. Cit.

هناك العديد من العوامل التي تحدد وتؤثر في صياغة وتشكيل استراتيجيات الدول والجماعات تجاه منطقة أو إقليم معين

في الوقت عينه، فان هناك رغبة أوروبية متزايدة في ايجاد اسواق جديدة لغرض تصريف وبيع صناعتها العسكرية، إذ إنَّ شركات صناعة السلاح عانت بعض الشيء من أزمة تصريف منتجاتها منذ انتهاء الحرب الباردة، وانحسار خطر الاحزاب الشيوعية، فكان عليها تحقيق الاستفادة من الأزمات والحروب لغرض ادامة وجودها، وهي امور معقدة تتداخل فيها مصالح الشركات والأجهزة الاستخباراتية الدولية لتحقيق بعض الأهداف المشتركة.

(22) نوار جليل هاشم، امجد زين العابدين طعمة، أوروبا ومكافحة الإرهـــاب: تصاعد التحديات وفاعلية النتائج، كتاب اعمال المؤتمر العلمي الدولي السنوي لجهاز مكافحة الإرهاب، بغداد، 2021، ص140.

كما إنَّ مسألة تحقيق طموحات الدول الأوروبية الخارجية ومحاولتها في أنْ تكون بمقدمة الفواعل المؤثرة في الساحة الرئيسة للأحداث، والتي تشكل الحرب ضد التنظيمات المتطرفة في مختلف انحاء العالم عامة وتنظيم (داعش) في منطقة الشرق الأوسط نقطة تركزها الحالية، تشكل هي الأخرى واحدة من العوامل المهمة في صياغة الاستراتيجية الأوروبية، فأي تخلف أو تردد يمكن أنْ يؤثر في تحقيق هذا الطموح، ويدفعها الى الابتعاد عن محور الدول المؤثرة في السياسة العالمية.

وعليه، ونظراً لان الدول تسعى الى تحقيق اقصى الأهداف بأقل التكاليف عبر استغلالها لكل ما هو متاح امامها، ولما يمكن ان تمثله تكييفها الوطني لظاهرة الإرهاب، فان الدول الأوروبية، لا سيما (المانيا وفرنسا) ومن خلال توظيفها لتعاملها مع هذا العامل، فإنها تحاول تحقيق العديد من الأهداف والمصالح تلبية لتحقيق ما اردفناه سابقاً من طموحات، بغض النظر عن الثمن الذي يمكن أن تدفعه أو الخسائر التي تعرضت لها بسبب الهجمات الإرهابية.

كما لا يمكن تجاهل وجود حاجة عالمية متزايدة لتطويق أو تحييد أو مواجهة

التهديدات المختلفة التي تتعرض لها في ظل تصاعد تحديات انتشار أسلحة الدمار الشامل والإرهاب والتطرف وتهريب الأسلحة والمخدرات، فضلاً عن تنامي سيطرة الجماعات والفواعل من غير الدول وانعكاسات ذلك على موجات الهجرة والنزوح الداخلية والخارجية وتأثيره على الأمن الدولي والاوروبي[23].

لا يمكن تجاهل وجود حاجة عالمية متزايدة لتطويق أو تحييد أو مواجهة التهديدات المختلفة

(23)Alain Dieckhoff, Vitaly Nakumon, Anthony H. Cordesman, Op. Cit, p6.

فهناك خشية تمثلها عودة المواطنين الاوربيين المنخرطين بشكل فعلي ضمن الجماعات الإرهابية المتطرفة، والتي يمكن لها أنْ تشكل تهديداً مباشراً للأمن القومي الاوروبي وإمكانية انتقال تأثيرات الإرهاب لداخل دولها، اذ ان العدد الكبير من المقاتلين الأوربيين سواء كانوا من مواطنيها او من اللاجئين المقيمين على أراضيها، والذين انظموا او سينظمون في المستقبل للتنظيمات المتطرفة، جعل الدول الاوروبية تعيد ترتيب حساباتها لغرض مجابهة هذا الخطر، فيما سيشكل الأطفال الذين قام بتدريبهم تنظيم (داعش) عسكرياً وايدلوجياً مشكلة أمنية واجتماعية معقدة لدى عودتهم الى ديارهم، فعلى الرغم من التراجع الواضح لنفوذ التنظيمات الارهابية، الا ان هذه المشكلة ستظل الأهم في ظل التهديدات والتحديات التي تمثلها، سيما ان العديد من مواطني هذه الدول وبالأخص منهم النساء والأطفال الذين تربوا ونشأوا على العنف ويحاولون العودة الى دولهم سواء بشكل رسمي او بطرق غير رسمية، وتخشى أجهزة مكافحة الإرهاب ان يصبح هؤلاء الأطفال سواء تم تجنيدهم بالقوة او بضغط او ايعاز من أولياء امورهم إرهابيين محتملين[24].

فهناك خشية تمثلها عودة المواطنين الاوربيين المنخرطين بشكل فعلي ضمن الجماعات الإرهابية المتطرفة

(24) اجهزة مكافحة الارهاب تخشى عودة الاطفال المجندين الى أوروبا، موقع Swissinfo، 19 نوفمبر 2016، https://ly.cutt/zIMr60T

وتأكيداً للاهتمام الأوروبي المتزايد بالعراق، فقد أعلنت رئيسة المفوضية الأوروبية اورسلا فون دير لاين في خطابها أمام البرلمان الأوروبي بداية عام 2021 « بأنه وبالنظر للمخاوف الأوروبية المتزايدة بشأن استمرار حالة عدم الاستقرار في الجوار الجنوبي لأوروبا، فان رفع مستوى الاهتمام بالعراق ضمن نهج سياسة الإتحاد الأوروبي للمرحلة القادمة، من شأنه ان يساعد أوروبا على أداء دور مركزي اكثر فاعلية وتأثير في الجغرافيا السياسية الدولية الأوسع، والمساهمة الفعلية في استقرار جوارها الممتد، ومواصلة التعاون مع الحكومة الامريكية ومع الحلفاء الآخرين في سعيها لإعادة الانخراط متعدد الأطراف»[25].

(25)Christian Coch, Europe Needs to Take a Lead on Iraq: Why Stability in the Country is Critical for All of the Middle East, Atlantic Council, may 2021, https://www.atlanticcouncil.org/wp-content/uploads/202105//Europe_Needs_to_Take_a_Lead_on_Iraq.pdf

وفي الإطار نفسه، فقد أكد الممثل الأعلى للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية في الإتحاد الأوروبي ونائب رئيس المفوضية الأوروبية جوزيب بوريل «بأنَّ لأوروبا مصلحة حيوية وأساسية في وجود عراق مستقر ومزدهر وديمقراطي، لافتاً الى عزم

الإتحاد الأوروبي على العمل المشترك والوثيق في معالجة التحديات المتعددة التي يواجهها العراق، وزيادة الدعم الذي يقدمه الإتحاد له، في الوقت الذي تقوم فيه بإصلاحات سياسية واقتصادية عاجلة، فضلاً عن إنْ الإتحاد يواصل عمله كشريك غير عسكري للتحالف الدولي في كل من العراق وسوريا، منوهاً بأنَّ العمل الجماعي المشترك سيظل الأساس لمنع عودة تنظيم (داعش)»[26].

ونفذت الدول الأوروبية العديد من التزاماتها فيما يتعلق بتقديم الدعم للعراق، منها تقديم أكثر من 1.2 مليار يورو من المساعدات منذ عام 2014 الى وقتنا الحاضر، فضلاً عن رفع اسم العراق من قائمة الإتحاد الأوروبي للدول ذات المخاطر العالية في مجالات مكافحة غسيل الأموال وتمويل الإرهاب، والتي أدرج اسم العراق فيها في أيار/ مايو 2020 الى جانب دول أخرى مثل أفغانستان وسوريا وإيران وغيرها، تلك التي تشكل مخاطر مالية على النظام المالي للاتحاد الأوروبي بسبب وجود قصور في إجراءات مكافحة غسيل الأموال وتمويل الإرهاب.

ونفذت الدول الأوروبية العديد من التزاماتها فيما يتعلق بتقديم الدعم للعراق، منها تقديم أكثر من 1.2 مليار يورو من المساعدات منذ عام 2014 الى وقتنا الحاضر

ففي رسالة سلمتها بعثة المفوضية الأوروبية الى رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي مطلع عام 2022، اكدت البعثة أنَّ العراق اتخذ إجراءات وجهود كبيرة لتحسين منظومة مكافحة غسيل الأموال ومحاربة تمويل الإرهاب وارتقى بإجراءاته الى مستوى المتطلبات الدولية، الأمر الذي دفعها لرفع اسم العراق من القائمة، مما سيمكن العراق من التخلص من القيود المالية الكبيرة التي فرضها هذا القرار عليه، وسيسهل حركة الأموال، الامر الذي سيكون له تأثيرات ايجابية على الاستثمارات والتعاملات المالية والمصرفية والقروض الدولية، فضلاً عن استمرار زخم الدعم الأوروبي المقدم للحكومة العراقية[27].

وبغض النظر عن مدى نجاح الدول الأوروبية في وضع وصياغة استراتيجية محددة للتعامل مع مختلف القضايا المهمة في الشرق الأوسط عامةً، مع مراعاة ترتيبها لأهمية كل قضية او مسألة على حدة، ومستوى نجاح تطبيق هذه الاستراتيجية في تحقيق أهدافها العامة والخاصة، وفقاً لترتيب أهدافها المتوافقة مع مصالح الدول الأوروبية ورؤاها في المنطقة والعراق على وجه التحديد، فان العراق يمكن ان يمثل واحداً من الشركاء الاستراتيجيين المهمين بالنسبة للاتحاد الأوروبي، نظراً لأهميته الجيوسياسية وموقعه الجيبولوتيكي وقربه الجغرافي النسبي، فضلاً عن الدور المؤثر الذي يمكن أنْ يؤديه الواقع العراقي في أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط عموماً.

(26)Iraq: High Representative/Vice-President Josep Borrell speaks to newly appointed Prime Minister Mustafa Al-Kadhimi, Brussels, 16/06/2020, https://eeas.europa.eu/headquarters/headquarters-homepage/80985/iraq-high-representativevice-president-josep-borrell-speaksnewly-appointed-prime-minister_en

(27) ماذا يعني إزالة العراق من قائمة أوروبية لـ«تمويل الإرهاب»؟، موقع سكاي نيوز عربية، 2021/1/11، https//:cutt.ly/xIePcJs

لكن تطبيق ذلك على أرض الواقع يتطلب، وحسب ما أورده كريستيان كوخ مدير مؤسسة الخليج للأبحاث في جنيف، في مقالة كتبها منتصف عام 2021، يتطلب ان تأخذ الدول الأوروبية، والمؤثرة منها على وجه الخصوص، زمام المبادرة بشكل استباقي للبدء بعقد شراكات سياسية واقتصادية وامنية طويلة الأجل في العراق، إذ إنَّ تدهور الوضع السياسي والأمني في بلد مثل العراق، سيكون له عواقب داخلية وإقليمية ودولية كبيرة، فضلاً عن ان وجود دولة ضعيفة غارقة بالصراعات وبدون حكومة مستقرة، لن تكون قادرة على المساهمة في إرساء ركائز الأمن الإقليمي ومن الممكن أن يصبح ساحة لتصفية حسابات بعض الدول الإقليمية[28].

ان وجود دولة ضعيفة غارقة بالصراعات وبدون حكومة مستقرة، لن تكون قادرة على المساهمة في إرساء ركائز الأمن الإقليمي

(28) Christian Coch, Op. Cit.

ولمنع هذا السيناريو ومحاولة إيقاف تداعيات تدهور الوضع في العراق على الأمن الإقليمي والدولي، فقد اقترح كوخ على الدول الأوروبية بأن تأخذ زمام المبادرة وتبدأ بحوار بناء وشامل مع الإدارة الامريكية الجديدة حول الوضع الحالي والمستقبلي في العراق، وأن تمضي قدماً في محاولة تولي مبادرة القيام بمهام القيادة الدولية في المجالات التي تتطلب معالجات فورية ومستمرة، وان التنسيق المتواصل مع الاطراف ذات العلاقة، والاستعداد الأوروبي لزيادة تقاسم الأعباء، سيوفر مزايا إيجابية للأطراف كافة، سواءً فيما يتعلق بتحقيق أهداف ادارة الرئيس الامريكي بايدن المتمثلة بإعادة بناء التحالفات ورسم الشراكات من ناحية، كما انه سيوفر للأوربيين فرصة حقيقية لإظهار قدراتهم الجيوسياسية واستقلالهم الاستراتيجي، الذي يعد في مقدمة أولويات العديد من الدول الأوروبية من ناحية أخرى[29].

(29)Ibid.

وفيما يتعلق بمستقبل الأولويات الأوروبية في العراق، فإنها تتشابه الى حد كبير أولوياتها في منطقة الشرق الأوسط، والتي تركز بشكل او بآخر على تعزيز وتجديد الشراكة مع الدولة الأكثر نفوذاً وأهمية في المنطقة (الولايات المتحدة الامريكية) في العديد من المسائل والقضايا الحساسة والمهمة، وفي مقدمة هذه الأولويات، تأتي مسؤولية مساعدة الحكومة العراقية على محاربة التنظيمات الإرهابية المتطرفة وتطويق داعميها ومؤيديها، ومن ثم تقليل آثارها السلبية على الأمن الدولي عامة والأوروبي بخاصة، سواءً من خلال مؤسسات الإتحاد الأوروبي المعنية بهذا الشأن، أو من خلال زيادة الوجود والدعم الأمني الأوروبي عبر مهمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) في العراق، التي تشكلت عام 2018، والتي يمكن عبرها تحقيق أهداف عدة، من بينها تعويض الفراغ الذي سيشكله الانسحاب الأمريكي العسكري

من العراق، وزيادة الدور الأوروبي في مهمة الحلف في زيادة قدرات القوات العراقية لمجابهة مختلف أنواع التحديات، مع تولي الدنمارك مهام قيادة البعثة نهاية عام 2020 [30].

ونظراً لأهمية العراق الجيوسياسية، ولارتباطه بعلاقات شراكة وتعاون مهمة مع مختلف دول الإتحاد الأوروبي، واستجابة للتحديات المتصاعدة التي يوجهها هذا البلد، يعمل الإتحاد بشكل دائم على تطوير استراتيجياته حياله، وذلك بناءً على التغيرات والمستجدات المتسارعة، وانطلاقاً من سعي المجتمع الدولي والإتحاد الأوروبي الالتزام بمبادئ دعم ومساعدة العراق في استدامة النجاحات التي حققها في دحر تنظيم (داعش)، ومن ثم البدء بمرحلة جديدة تعتمد على المحافظة على زخم النتائج الإيجابية التي حققتها الحكومة العراقية في حربها ضد الارهاب، والعمل معها على معالجة المشاكل الكبيرة التي خلفتها العمليات العسكرية من نزوح وتهجير، والتعاون على مواجهة التحديات الأمنية والسياسية والمجتمعية الكبيرة.

ان مؤسسات الإتحاد المعنية ودوله الفاعلة تعمل بشكل وثيق مع الحكومة العراقية والدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي

وفيما يتعلق بآليات تنفيذ الاستراتيجيات الأوروبية تجاه العراق، يؤكد أكثر من مسؤول مهم بالإتحاد الأوروبـي ان مؤسسات الإتحاد المعنية ودوله الفاعلة تعمل بشكل وثيق مع الحكومة العراقية والدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي والأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وشركاء إقليميين ودوليين آخرين، والجميع ملتزمون بتقديم كل اشكال المساعدة والمعونة للحكومة العراقية والمؤسسات العراقية الاخرى، وادامة زخم النجاحات التي حققتها سواءً على الصعيد الداخلي المتعلق بعودة اعداد كبيرة من النازحين وتجاوز آثار الأزمات المختلفة التي واجهتها خلال المرحلة السابقة، وعودة الاستقرار واستدامته في المناطق المحررة من تنظيم (داعش)، فضلاً عن دعم الإصلاح طويل المدى، وجهود إعادة الاعمار والمصالحة الوطنية في عموم البلاد، والتي تعد من أولويات توطيد السلام وبناء دولة ديمقراطية موحدة، يتمتع فيها المواطنين كافة بمختلف انتماءاتهم السياسية والمذهبية والقومية، بحقوقهم التي كفلها الدستور او على الصعيد الخارجي والمتمثل بالانفتاح على المحيطين الإقليمي والدولي وتحوله الى منصة للتفاهم بين بعض الأطراف الإقليمية المتضادة، وتحقيق نجاحات في الأداء السياسي الخارجي واحتواء الازمات مع الأطراف الأخرى، مع ادراكها بان استقرار العراق أمر حيوي ومهم للأمن الإقليمي والدولي الشامل.

والتي تركز بشكل او بآخر على تعزيز وتجديد الشراكة مع الدولة الأكثر نفوذاً وأهمية في المنطقة

(30)Sajad Jiyad, torn between two allies: How Europeans can reduce Iraqi dependence on Iran and the US, European Council on Foreign Relations, 28 July 2020, https://ecfr.eu/publication/torn_between_two_allies_europeans_can_reduce_iraqi_dependence_on_iran_us/

وهكذا فإنَّ الدول الأوروبية ومن خلال تحديث أولويات استراتيجية دولها تجاه العراق، سعت/ وتسعى الى تحقيق حزمة من الأهداف الشاملة، والتي تتوزع الى أكثر من مسار واتجاه، تتجاوز من خلالها بعض الثغرات ونقاط الضعف التي اعترت سياساتها تجاه العراق والمنطقة، وتقليل التكلفة الباهظة التي يمكن ان تشكلها التقاعس او استمرار الركود في المشهد السياسي والاقتصادي والامني في العراق، ومن بين هذه الأهداف، العمل المشترك مع المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني لإيجاد بعض الحلول العملية الدائمة للمناطق التي تعاني من الإرهـاب واثاره السلبية الحالية والمستقبلية، والمساهمة الفعلية بتحقيق الأمن والاستقرار المجتمعي، ومن ثم العمل على إعادة النازحين والمهجرين والمهاجرين غير الشرعيين الى مناطقهم الأصلية.

تحقيق الأهداف الأخرى المتعلقة بتقليل او قطع موارد التنظيمات الإرهابية والمتطرفة أو عصابات الجريمة المنظمة

زيادةً على تحقيق الأهداف الأخرى المتعلقة بتقليل او قطع موارد التنظيمات الإرهابية والمتطرفة أو عصابات الجريمة المنظمة، من خلال التعاون مع الدول المعنية ومراقبة شبكات التمويل وغسيل الأموال والإجـراءات الإدارية والفنية الخاصة بمكافحة تمويل الإرهاب ومنع تجنيد العناصر الإرهابية، وتبادل المعلومات الاستخباراتية. فالدول الأوروبية الفاعلة، وفي مقدمتها فرنسا وألمانيا، تتمتع بالكثير من المؤهلات التي تتيح لها ان تكون من الدول الفاعلة والمؤثرة في مجال السياسة الدولية، فهي تلعب دوراً أساسياً وفاعلاً في صياغة السياسة الاوربية، فضلاً عن لعبها دوراً هاماً في رسم السياسة العالمية من خلال دورها في المنظمات الدولية المختلفة.

كما سيتيح لها هذا التوجه الاستراتيجي الجديد، مزايا إضافية تتعلق بإدامة وجودها وتأثيرها النشط في العراق والمنطقة، وذلك لدعم خططها الاستراتيجية المستقبلية وترسيخ شراكاتها الأمنية، وتوفير متطلبات الاستقرار الحكومي والمجتمعي، المقترن بوجود حكومات عراقية معتدلة وقوية، تقف حائلاً أمام التدخلات الخارجية الإقليمية في شؤونها. في الوقت نفسه، فإن يمكن ان يقدم مجموعة بدائل جديدة وناجحة للخيارات التي يقدمها حلفاء وشركاء العراق التقليديين، مما يمكن له أنْ يحقق مصلحة الطرفين (العراق وأوروبا).

الخاتمة:

يعد الإتحاد الأوروبي واحداً من أهم الأطراف الفاعلة والمؤثرة، بشكل متزايد، على الصعيد العالمي، ووفقاً لذلك، ينبغي عليه ان يتحمل المزيد من المسؤوليات عن ضمان أمنه من جهة والأمن والاستقرار الإقليمي والعالمي من جهة اخرى،

الأمر الذي يفرض عليه التحرك بشكل فاعل تجاه مختلف دول العالم، ووضع استراتيجيات واليات تضمن مصالحه القومية من جهة، وتوفر له ضمانات تحقيق أهدافه وتطلعاته، فضلاً عن تقليل معدل المخاطر المحتملة لتدهور الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية، لمناطق اهتمام الإتحاد بصورة عامة.

يعد الإتحاد الأوروبي واحداً من أهم الأطراف الفاعلة والمؤثرة، بشكل متزايد، على الصعيد العالمي

وفيما يتعلق بأولويات الإتحاد الاستراتيجية حيال العراق، فإنَّ الدراسة اثبتت بشكل واضح تطور ملامح الرؤية الاستراتيجية الأوروبية للمنطقة الشرق أوسطية عام وللعراق بخاصة، لا سيما بعد التغيرات الدراماتيكية الكبيرة التي شهدتها المنطقة، على أثر ما يعرف بثورات الربيع العربي عام 2011 وصولاً الى تمكن تنظيم (داعش) من السيطرة على أراضي واسعة من العراق وسوريا، وموجات الهجرة والنزوح الكبيرة التي شهدتها أوروبا تبعاً لذلك، وموجة التفجيرات التي شهدها أكثر من بلد أوروبي.

فالتحديات الكبيرة والمتصاعدة التي تواجه اغلب دول العالم، وفي مقدمتها الدول الأوروبية، تتركز بالدرجة الأساس على الجوانب الأمنية والارهابية، التي تمثل تحدياً مشتركاً بينها وبين الكثير من دول العالم ومن بينها العراق، وهنا تبرز الحاجة الى مزيد من الاهتمام واللجوء الى تعزيز التعاون والتنسيق، فضلاً عن إعادة تقييم الاستراتيجيات الأوروبية تجاهها، استناداً على مجموعة من المتغيرات المتسارعة التي تشهدها البيئة الدولية أو الدول المعنية بعينها.

كما إنَّ المصالح التي يمتلكها الإتحاد الأوروبي في المنطقة الشرق أوسطية والعراق تحديداً، تتطلب من مؤسساته تحقيق استجابة واقعية للتحديات التي تواجهها في اعقاب الهزيمة التي لحقت بتنظيم (داعش)، بما في ذلك، تعزيز أمن واستقرار المنطقة والتعافي من اثار الارهاب، وتوفير الاحتياجات الإنسانية، والمصالحة المجتمعية، زيادةً على تعزيز التعاون الاقتصادي والثقافي، وهو ما يمكن أنْ يشكل أولويات الاستراتيجية الأوروبية المستقبلية تجاه العراق والمنطقة، بما يعزز مصالحها ويحقق أهدافها.

قائمة المصادر:

وهي اتفاقية إقامة وحدة أوروبية شاملة وتحويل المجموعة الأوروبية الى اتحاد اوروبي، تم توقيعها من قبل 12 دولة أوروبية، ودخلت حيز التنفيذ في 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1993، للمزيد حول الاتفاقية ينظر النص الأصلي:

https://eur-lex.europa.eu/legal-content/EN/TXT/PDF/?uri=CELEX:11992M/TXT&from=EN

[2]Fraser Cameron, An EU Strategic Concept, European Policy Centre, 2003, https://www.epc.eu/en/Publications/An-EU-Strategic-Concept~22996c

[3]Alain Dieckhoff, Vitaly Nakumon, Anthony H. Cordesman, The Role of Europe in the Middle East, ESF Working Paper No. 7, 1 June 2002, p. 7. https://www.files.ethz.ch/isn/22264/Role_Europe.pdf

[4] بشارة خضر، اوروبا من اجل المتوسط من مؤتمر برشلونة الى قمة باريس (1995-2008)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010، ص99.

[5] ستار جبار الجابري، موقف دول الإتحاد الأوروبي تجاه الاستراتيجية الامريكية في العراق، مجلة دراسات دولية، كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد، العدد 36، ص41.

[6] Pierre Morcos, Enough Theory, European Strategic Autonomy Needs Practice in the Middle East, The Washington Institute for Near East policy, Jan 6, 2021, https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/enough-theory-european-strategic-autonomy-needs-practice-middle-east

[7] Beatrix Immenkamp, EU strategy for Iraq, European Parliamentary Research, 2018, https://www.europarl.europa.eu/legislative-train/api/stages/report/current/theme/europe-as-a-stronger-global-actor/file/the-eu-strategy-for-iraq

[8] امجد زين العابدين، نوار جليل هاشم، مكافحة الظلام: رؤية في المواقف الأوروبية من مكافحة الإرهاب، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، 2019، ص124.

[9] The EU and Iraq, European external action service, Bruxelles, 9/7/2019, https://eeas.europa.eu/sites/default/files/eu_and_iraq_factsheet_updated_.pdf

[10]The European Union and Iraq: A New Strategy, Middle East Research Institute (MERI), November 15th, 2017, http://www.meri-k.org/the-european-union-/and-iraq-a-new-strategy

[11] علي زياد العلي، استراتيجية الإتحاد الأوروبـي الجديدة حيال العراق، شبكة النبأ، 2019/2/3، https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/18152

[12] Iraq and the EU, Delegation of the European Union to Iraq, 10/5/2016, https://eeas.europa.eu/delegations/iraq/690/iraq-and-eu_en

[13] Beatrix Immenkamp, EU strategy for Iraq, European Parliamentary Research, 2018, https://www.europarl.europa.eu/legislative-train/api/stages/report/current/theme/europe-as-a-stronger-global-actor/file/the-eu-strategy-for-iraq

[14] كريستيان كوتش، أوروبا بحاجة لأخذ زمام المبادرة في العراق لماذا الاستقرار في العراق

أمر بالغ الأهمية لكل الشرق الأوسط؟، ترجمة حسين احمد السرحان، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة كربلاء، 20 يونيو 2021، https://cutt.ly/3IeHgPY

[15] نوار جليل هاشم، امجد زين العابدين طعمة، أوروبا ومكافحة الإرهاب: تصاعد التحديات وفاعلية النتائج، كتاب اعمال المؤتمر العلمي الدولي السنوي لجهاز مكافحة الإرهاب، بغداد، 2021، ص140.

[16] اجهزة مكافحة الارهاب تخشى عودة الاطفال المجندين الى أوروبا، موقع Swissinfo، 19 نوفمبر 2016، https://cutt.ly/zIMr60T

[17] Christian Coch, Europe Needs to Take a Lead on Iraq: Why Stability in the Country is Critical for

[18] All of the Middle East, Atlantic Council, may 2021, https://www.atlanticcouncil.org/wp-content/uploads/2021/05/Europe_Needs_to_Take_a_Lead_on_Iraq.pdf [19]Iraq: High Representative/Vice-President Josep Borrell speaks to newly appointed Prime Minister Mustafa Al-Kadhimi, Brussels, 16/06/2020, https://eeas.europa.eu/headquarters/headquarters-homepage/80985/iraq-high-representativevice-president-josep-borrell-speaksnewly-appointed-prime-minister_en

[20] ماذا يعني إزالة العراق من قائمة أوروبية لـ«تمويل الإرهاب»؟، موقع سكاي نيوز عربية، 2021/1/11، https://cutt.ly/xIePcJs

[21] Sajad Jiyad, torn between two allies: How Europeans can reduce Iraqi dependence on Iran and the US, European Council on Foreign Relations, 28 July 2020, https://ecfr.eu/publication/torn_between_two_allies_europeans_can_reduce_iraqi_dependence_on_iran_us/